الإتساع والإنكماش السلوكي!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

" ما طار طير وارتفع ...إلا كما طار وقع"!!

منذ الصغر وهذا البيت الشعري الذي يجري مجرى الأمثال يتردد في خاطري ومن حولي , وقد سمعته من العديد من الذين مرّوا وأثروا بحياتي , ولا يزال مترددا , ويحضرني اليوم وأنا في خضم محاورة عميقة مع عدد من الزملاء عن الصيرورة الآتية للواقع السلوكي فوق التراب!!

إبتدأت المحاورة بإستغرابي من سرعة الزمن وفقداننا الإحساس بالوقت , فالأيام تجري بسرعة فائقة , حتى ليفقد الناس طعمها وقيمتها ومعانيها , فالمخلوقات بأسرها في دوّامة الحركة المتسارعة التعجيل والساعية إلى آفاق المجهول المتسع المتشاسع.

قال زميلي: أن الضخ المعلوماتي وآليات التواصل وشبكات التفاعل الآنية , أفقدت الحياة الكثير من خصائصها التي عهدتها الأجيال السابقة , فأصبحنا نطارد سرابا!!

وبعد أن تشعب الحوار , ختمه بالقول : أخشى أن التوسع سيدفع بنا إلى الإنكماش , وكأنه يلوح في أفق الواقع العالمي المعاصر!!

قلت إنها فكرة تصلح للكتابة!!

ضحك زميلي مودعا , وبدأت أكتب!!

إن ما يحصل في أي جرم كوني لا يمكنه أن يحيد , أو يشذ عما يتحكم بالكون المطلق من قوانين ومعايير ونواميس , لا تقبل أي خطأ مهما كان ضئيلا , فالمفردات الكونية تتحرك وفقا لنظام دقيق , وتحكمها معادلات متوازنة , ذات عوامل مساعدة أو معوّقة , وفقا لآليات التفاعل والعناصر الداخلة فيه , والنتائج المطلوبة.

وبما أن الأرض جرم ينتمي لمجموعة شمسية لازلنا لا نحيط بها علما , وأنها واحدة مما لا يحصى من المجموعات الشمسية , التي تمر بدورات حياتية وإستحالات كونية , وتدخل في محتدم الإحتراب المستعر في أرجاء الكون المعتم الحرّاق اللهّاب المعتقلات , فأن الأرض تعبّر عن تلك القوانين والسيرورات , وما فيها مختصر لآليات التفاعل الكوني الأعظم , وما في مخلوقاتها كافة يحقق ما فيها من الحالات المتواصلة مع مطلق معادلات الوجود الصاخبة المتعالية الأزيز والفوران.

فسلوك الموجودات الأرضية يتوافق مع إيقاع سلوك الأرض , ولا ينفصل عنه أو يشذ عن طبيعته ومراميه الدورانية الخلاّطة الولاّدة , المنهمكة بإعادة تصنيع الموجودات من عناصرها الأولية , الداخلة في جوهر كيانها وما تحتويه من طاقات تطلعية وإرادات صيروراتية.

وعندما ننتقل للإنسان فما في الأرض فيه , وما فيها من كونها الأكبر , وهذا يعني أن الإنسان فيه مختصرات كونية , وتعبيرات سلوكية متفقة والتفاعلات الحاصلة في أية بقعة كونية متحركة , ومحكومة بقبضة الدوران الخارقة الخانقة.

" ما طار طير وارتفع ...إلا كما طار وقع"!!
منذ الصغر وهذا البيت الشعري الذي يجري مجرى الأمثال يتردد في خاطري ومن حولي , وقد سمعته من العديد من الذين مرّوا وأثروا بحياتي , ولا يزال مترددا , ويحضرني اليوم وأنا في خضم محاورة عميقة مع عدد من الزملاء عن الصيرورة الآتية للواقع السلوكي فوق التراب!!

قال زميلي: أن الضخ المعلوماتي وآليات التواصل وشبكات التفاعل الآنية , أفقدت الحياة الكثير من خصائصها التي عهدتها الأجيال السابقة , فأصبحنا نطارد سرابا!!

سلوك الموجودات الأرضية يتوافق مع إيقاع سلوك الأرض , ولا ينفصل عنه أو يشذ عن طبيعته ومراميه الدورانية الخلاّطة الولاّدة , المنهمكة بإعادة تصنيع الموجودات من عناصرها الأولية , الداخلة في جوهر كيانها وما تحتويه من طاقات تطلعية وإرادات صيروراتية

عندما ننتقل للإنسان فما في

والكون يتسع وكل إتساع موعود بإنكماش أو إنكباس في مركزه , بقوة متناسبة وشدة إتساعه وتعاظم مطاطية قدراته الإنجذابية والتنافرية , المتحكمة بمصيره ومنتهياته المتماوجة المتقادحة , والمتسابكة في أوعية الفراغ الفوارة , والأرض يتمدد ما فيها وعليها وينقبض , وظاهرة المد والجزر تعبير واضح عن هذا النشاط الدوراني المتواصل مع موجودات كونية في مدارات مجموعتنا الشمسية , ومدارات وجودها الفائقة الحركة والتفاعلات.

والأرض مضغوطة بغلافها الجوي أو قشرتها الغازية , التي تتدرع بها وتغلفها بقدرات كهرومغناطيسية ذات خصائص إنجذابية وتنافرية , فهي تتحرك كما تتحرك الرئة ما بين الإتساع والإنكماش , أي أن الأرض تتنفس كما الأحياء تتنفس , وهذه الحركة المنتظمة تشترك فيها المخلوقات وبدرجات وتنوعات متباينة وفقا لطبيعتها ودورها الحياتي.

ولا يمكن للأرض أن تحيا إذا إتّسع غلافها الجوي وترسها الغازي وتزعزعت طبقاته , لأنها ستكون عرضة لإختراقات إشعاعية وجُرمية هائلة , تقضي على الحياة فيها , ولهذا فأن عليها أن تحافظ على قدراتها الإحتضانية الكفيلة بديمومة الحياة وتجددها.

فالأرض كينونة حية متحركة ذاتيا وموضوعيا , وترتدي ثيابها وتتدرع بأواصر غازية متماسكة , ومقتدرة على مقاومة الصولات العنيفة , التي تستهدفها بتواصل وإنقضاض تدميري نيراني الطباع والتفاعلات , وهي تدرك مقومات حياتها وشروط بقائها وتدافع عنها , وكأي موجود حي تصاب بالخوف والقلق والإضطرابات السلوكية , التي تتلخص بالبراكين والهزات الأرضية والأعاصير والفيضانات وغيرها من التفاعلات التي تحققها الطبيعة الأرضية , وهي تحاول الحفاظ على حالتها الموائمة لأحيائها , وشخصيتها الكونية التي تتميز بملامحها وعلاماتها الفارقة.

ومشكلة الأرض أن مخلوقاتها تتناسى وتتعامى , وتنحدر إلى مسارات ذات متاهات ونهايات خطيرة , وكأنها منوّمة أو مخدرة بالأفكار والتصورات والمعتقدات التي تعاديها , وتقتلع إرادة قوانينها من أعماق موجوداتها , وخصوصا البشر الذي تسيّد على جميع المخلوقات , وتفوّق عليها بأعداده وقدراته الشرسة , وأصبح المالك الحقيقي للأرض والمتحكم بإتجاهات تفاعلات ما عليها , فهم الذي يقرر وينفذ ويتصور ويتوهم ويمضي في سلوكياته الفردية والجمعية القاسية.

وبما أن قوانين الوعاء تتحكم بمصير ما يحتويه , فأن الأرض تفرض قوانينها وإرادتها على ما يدور فيها وعليها من الأحداث والتطورات , ولا بد لها أن تتدخل وتدفع البشر إلى مواضعه التي يجب عليه أن يكون فيها.

فالأرض متوازنة السلوك , ولا تسمح بالإتساع الفائق , لأن ذلك السلوك لا يتفق ومناهجها الدقيقة المتعادلة , لكن البشر قد إتسع وتمدد وتمادى في نأيه عن التراب , وصار يمتلك القدرات الهائلة الكفيلة بصناعة الجحيمات الأرضية , والجهنمات المحتملة فوق الماء والتراب وفي الفضاء , أي أنه وكأنه قد بلغ منتهاه الإتساعي , الذي يعني أنه على شفا حفرة الإنكماش الرهيب , والمحق والغياب والعودة إلى مبتدءات المسيرة البشرية فوق التراب الحامي المتأهب المتقطب الملامح , والغاضب المتناقم المتحامل على موجوداته التي أنجبها من رحم ما فيه.

والإتساع البشري إتّخذ منحى توالد الأفكار العلمية ذات القدرات الفتاكة بمحيطها البيئي والتواصلي , إذ بلغت التصنيعات المدمرة أوجها , وصارت المصانع المتوثبة للصراع والتخريب الدامي في تسابق كمي ونوعي , لإنتاج ما هو هائل المحق والشراسة والتوحش , فما عادت القنابل الذرية والهيدروجينية وأخواتها بكافية , وإنما تعددت أنواع الأسلحة النووية وتداخلت حتى صارت الأرض قابضة على جمرة الهلاك , ولا تحتاج إلا لمجنون متهور يمتلك حق إتخاذ قرار الإنتحار الأرضي الذي تحققه ضغطة على زر في حقيبة تحملها الأيادي المتأهبة للإنقضاض على الوجود الأرض بأكمله.

الأرض فيه , وما فيها من كونها الأكبر , وهذا يعني أن الإنسان فيه منتصرات كونية , وتعبيرات سلوكية متفقة والتفاعلات الحاصلة في أية بقعة كونية متحركة , ومحكومة بقبضة الدوران الخارقة الخانقة

الأرض مضغوطة بغلافها الجوي أو قشرتها الغازية , التي تتدرع بها وتغلفها بقدرات كهرومغناطيسية ذات خصائص إنجذابية وتنافرية , فهي تتحرك كما تتحرك الرئة ما بين الإتساع والإنكماش , أي أن الأرض تتنفس كما الأحياء تتنفس

الأرض كينونة حية متحركة ذاتيا وموضوعيا , وترتدي ثيابها وتتدرع بأواصر غازية متماسكة , ومقتدرة على مقاومة الصولات العنيفة , التي تستهدفها بتواصل وإنقضاض تدميري نيراني الطباع والتفاعلات

مشكلة الأرض أن مخلوقاتها تتناسى وتتعامى , وتنحدر إلى مسارات ذات متاهات ونهايات خطيرة , وكأنها منوّمة أو مخدرة بالأفكار والتصورات والمعتقدات التي تعاديها

بما أن قوانين الوعاء تتحكم بمصير ما يحتويه , فأن الأرض تفرض قوانينها وإرادتها على ما يدور فيها وعليها من الأحداث والتطورات , ولا بد لها أن تتدخل وتدفع البشر إلى مواضعه التي يجب عليه أن يكون فيها

الأرض متوازنة السلوك , ولا تسمح بالإتساع الفائق , لأن ذلك السلوك لا يتفق ومناهجها

الدقيقة المتعادلة , لكن البشر قد إتسع وتمدد وتمادى في نأيه عن الترابط , وصار يمتلك القدرات الهائلة الكفيلة بصناعة الجحيمات الأرضية

الإتساع البشري إتّخذ منحى توالد الأفكار العلمية ذات القدرات الفتاكة بمحيطها البيئي والتواصلي , إذ بلغت التصنيعات المدمرة أوجها , وصارت المصانع المتوثبة للصراع والتخريب الدامي في تسابق كمي ونوعي , لإنتاج ما هو هائل المحق والشراسة والتوحش

وذهبت الأفكار إلى مديات ما عاد البشر بقادرٍ على التحكم بها , لأنه أوجد ما يتحكم به ويسيّره ويستعبده , فالبشر هو المخلوق الوحيد الذي يبتكر ويخترع ما يَستعبده ويمتلكه تماما , ونحن نعيش في عصر الإستعباد بالمخترعات التي تعزلنا عن أنفسنا وبعضنا البعض , وتحوّلنا بموجبها إلى موجودات سرابية أو أرقام على شاشات ضوئية ملونة.

كما أن المعارف قد بلغت مستويات كبيرة أعجزت الرؤوس البشرية على إستيعابها وبرمجتها , بل أنها عطّلت الأدمغة وجعلتها مدمنة على أجهزة كأنها أذكى من البشر , حتى ليبدو أمام قدراتها المعرفية متضائلا متصاغرا ومفرّغا من آليات النشاط المعلوم , أي أن البشر أجهَز على ذاته وأفرغها من محتوياتها , بل وخربها ونسف أسس صيرورتها التماسكية القوية , حتى أضحى ما بين الحالة الإسفنجية والصلدة , وبهذا الكيان صار من الصعب عليه هضم المعلومات ووعي التطورات , مما سيؤدي به إلى الوقوع في حفر الإنكماش الرهيب , كما يشهد الزمن المعاصر العديد من مظاهرها التي أخذت تسري وتنتشر بوبائية غير مسبوقة , وبعدوى عولمية دامية محطمة لأركان الأمن والسلام والرحمة والطمأنينة.

وكذا يبدو أن بلوغ الذروة المعرفية قد بدأ بأخذنا إلى منزلقات تهالكية إنكماشية , ذات تعجيل متسارع ومتوثب للسقوط في وديان السكون , الذي يحلم بالحركة من جديد على سفوح أخرى ذات قمم أعلى , ليبلغها وقد تأهب لمنزلق بعيد!!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.Samarai-CosmicExp&Cont.pdf

روابط ذات صلة

****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2024 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الخامس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 21على الويب

24 عاما من الكدح.. 21 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2023

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2022.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية 2024 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2024
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3